

ابراهيم الامين

## عوارض العزلة عند اليساري - الليبرالي

يبدو أن من ينسب إلى نفسه، وهذا ما لم أفعله، صفة اليساري، قد رسم لنفسه أيضاً صورة نمطية. قسم كبير من الذين قصدتهم في مقالتي الأخيرة «كيف تكون يسارياً - ليبرالياً» بذوا منفعليين. كنت أظن أن اهتماماتهم العامة أكبر بكثير من هذا النقاش، وأنهم أمام جدول أعمال يتعلق بكيفية التفاعل مع الثورات العربية القائمة الآن، وما هو نصيبهم منها. لكن يبدو، مرة جديدة، أنهم ظلوا حيث هم، على هامش المشهد. وفي أحسن الأحوال يتلبسون دور المراقب. يبدوون تعاطفاً أو تحاملاً أو أي شيء، لكنهم يمتازون بوقفية أخلاقية عجيبية المصدر تصيبهم بالدوار، فيعتقدون للحظات أنهم أساتذة في منح العلامات لهذا أو ذاك من البشر أو المجموعات على حد سواء. بانسون، لا يريدون الإقرار بأنهم باتوا من الماضي. وأن الطليعة الحقيقية والواقعية للناس اليوم ليست من بيتهم، ولا من بنات أفكارهم، ولا تشبه شيئاً من شعاراتهم، وليس فيهم عنصر جذب حتى لمراهق. اليأس يصيب أظرفهم على ندرتها، والعقم يصيب ما بقي في عقولهم، ولعبة الاستغراب هي الأقرب إلى عقولهم. يؤدون دور الليبرالي المؤيد لكل حقوق الفرد في الندوات، لكنه يدافع عن النظرية الأميركية - الغربية في اقتصاد السوق القائم على سرقة موارد البلاد والعباد.

في سنوات التنظيم اللبني، كانت الجماعة تسيطر على الأفراد. كان الذوبان شرطاً حقيقياً للانضواء. لكنه لم يكن عملاً فردياً، كان خليطاً رائعاً من القيم والأفكار والحساسيات الإنسانية، التي تدفع الفرد إلى تكرار ذاته، ليس حتى مستوى الذوبان في الجماعة، بل حتى حدود العدم، أي الموت في سبيل سعادة الآخرين. لكن جيل الأولاد من هؤلاء، لا يعرف من الحكاية سوى هوامشها. هو

**بانسون لا يريدون  
الإقرار بأنهم باتوا  
ماضياً وأن الطليعة  
الحقيقية اليوم  
ليست من بيتهم**

بضيق ذرعاً بالعمل الجماعي؛ لأنه يحرم الفرد خصائصه الذاتية. يمنع عنه التمايز في الحد الإيجابي، ويضيع عليه حقه في الخروج عن صف العسكر من دون إذن القائد. لكنه، هو نفسه، الولد اليساري - الليبرالي البائس، يفترق إلى فكرة العمل الجماعي. تعود فكرة أن هناك من يفكر، وهناك من يقرر، وهناك من يقود، وأن البقية مجرد جنود عليهم مباحته أميراً، له الطاعة وعليهم التنفيذ. لكن الصورة الفارغة من أي شيء، تجعل هؤلاء يقبلون استبدال الإطار العام بأطر صغيرة، إلى مجموعات أصغر، تجمع ما هو أقل من عدد أصابع اليد الواحدة، أو الاثنتين إن كان بارعاً.

هم يحتجون على القوانين العامة التي تدار بها العائلة، والمدرسة، والقبيلة، والطائفة، والمنطقة، والدولة، والأمة والعالم أيضاً. ليس بينهم الآن من يقدر على ادعاء ملكية فكرة جامعة. منذ عقود وهم يعيشون في دائرة رد الفعل. وكل الغضب الذي يسكنهم، بسبب المآسي التي يواجهونها أفراداً أو شعوباً، إنما تعود لتختفي آخر المساء، خلف كأس مصحوبة بموسيقى مخصصة لأحلام اليقظة. وعند الصباح، يعاودون اصطفاقهم مثل براغ في ماكينة كبيرة. لا يقوون على شيء بحجة البحث عن لقمة العيش. لا يملكون الجرأة على اختبار قام به ثائرون حقيقيون، قرروا تحمل تبعه موقف إنساني خالص، فتخلوا عن أمكنة، وعن عادات، وعن أعمال، وعن امتيازات، لأنهم باتوا على اقتناع بأن لا شيء يعالج قلقهم وأرقهم اليومي. وقلة منهم، تلجأ إلى العنف العدمي، على شاكلة المنظرين المنتشرين الآن في كل العالم، باسم الأديان أو من دونها، يقومون بالأعمال الانتقامية على خلفية اليأس، والشعور بلا جدوى الحياة. فيتحولون في لحظات إلى أدوات لقهر ذواتهم، يستغلهم خصمهم المنتشر في كل مكان، ويترك لهم العيش بوهم أنهم أصحاب الفعل.

ما يرفضه هؤلاء، ليس صورة نمطية تقليدية وجب على البشر تلبسها، بل ما يرفضه هؤلاء، هو الإقرار بأن سعيهم إلى الاختلاف، إنما انتهى إلى اختلافهم عن أنفسهم فقط. هم لا يعرفون أنهم يشبهون كل خصومهم، بل هم صورة مطابقة عن الفوضويين، الذين لا يابهون لأي شيء من حولهم مقابل حقهم في التعبير عن ذواتهم. وهم صورة مطابقة عن الاستغلالي، الذي لا يهتم لصراخ الفقراء، ويلجأ إلى زيادة ربحه، بأي وسيلة أتاحت له. ثم هم في آخر المطاف، أقلويون، ينقصهم الكثير من المعرفة الحقيقية. كأنهم لم يعرفوا المدارس، ولا المناهج، ولا حتى الساحة حيث يعيشون. وكل ما يعرفونه، هو أنهم باتوا أسرى عوارضهم المقيتة. تلك التي تجعل الناس تدل عليهم عن بعد، وترذلهم، وحتى تتجنب الإشارة إليهم بالحسن والإيجاب. وهكذا ينتهي بهم الأمر، في حالة عزل ذاتي، وساعتها، يعتقدون بالانتصار على القوانين، فيذهبون إلى ممارسة طقوس خاصة، بهم، وإذا أشار إليهم أحد بذلك، عدوه متلصصاً لا يحق لهم مراقبتهم أو حتى الاقتراب منهم، ما لم يعلن الولاء. وفعل الولاء هنا، أساسه قطع الصلة بالذات، والبحث عن ذات أخرى، يبدو أن في الغرب المتوحش من فتح دكاناً لبيع من هذه البضاعة. ومرات يعطي الزبون حق التجربة، مثل حال تجار المخدرات الذين يرشون الزبائن بعروض سخية، فقط لأنهم يضمنون أن هؤلاء سيعودون إليهم ومعهم غلة الأهل كلها.

اليساري - الليبرالي، رجل مريض فعلاً. لكنه لا يقبل التشخيص، ولا يقبل الذهاب طوعاً إلى من يعالجه. وإذا ما اقتنع أو أجبر على ذلك، فالله أعلم إن كان هناك من يجيد علاجه أصلاً!

سليمان: الوزير يجب مناقشته، أما رئيس مجلس الوزراء فلا تجوز مناقشته. (أرشيف - هيثم الموسوي)

ميقاتي لم يصرح، فيما أكدت أوساطه أنه «لن يستقيل ولن يعتكف، ولكنه لن يعقد جلسة غير مثمرة لمجلس الوزراء، ولن يرضى بعقد أي جلسة قبل بث التعيينات التي اقترحها».

وفيما أكثر من وزير لخصوا جو الجلسة بالآتي: منذ البداية، أبدى رئيس الحكومة نجيب ميقاتي امتعاضه مما ورد في بعض وسائل الإعلام صباح أمس عن أن الحكومة أصدرت قرارات الكهرباء والخلوي أول من أمس، خشية تحرك شعبي كان التيار الوطني الحر يعد للقيام به خلال أيام، تجاه السرايا الحكومية. وعلّق ميقاتي قائلاً: «بدي أعرف إذا كان حداً يبدو يتظاهر، مين هوي؟ وضد مين؟ فردّ الوزير جبران باسيل بالقول: نحن لم نقل إننا كنا سنتظاهر، لكن هذا حقنا. وليس كل ما يرد في الإعلام صحيحاً».

وذكر أكثر من وزير لـ «الأخبار» أن رئيس الجمهورية ميشال سليمان، كان أمس، ولليوم الثاني على التوالي، يريد الرد في كل صغيرة وكبيرة على الهجوم العوني الذي تعرض له خلال الأسبوع الماضي. وبناءً على ذلك، تدخل في النقاش إلى جانب ميقاتي، «مانحاً إياه صلاحيات لم يعطه إياها الدستور، وهو الذي يطالب بتعزيز صلاحيات رئيس الجمهورية، فإذا به يحاول إرساء عرف يمنح صلاحيات إضافية لرئيس الحكومة». كذلك أكد أكثر من وزير أن سليمان كان «عدائياً تجاه وزراء التيار الوطني الحر، وقاطع غير واحد منهم أكثر من مرة، ووقف عند بعض العبارات التي قالوها رغم كونها ثقلاً بشكل عادي خلال الجلسات. كتعليق الوزير جبران باسيل على إحدى المداخلات بالقول «لا لا لا»، فالتفت رئيس الجمهورية صوبه بغضب قائلاً: إنت كيف بتقول لا لا لا».

وعلق أحد الوزراء الوسطيين على ما جرى في الجلسة بالقول: «إن العونيين لا يُحتملون، وعلى حزب الله أن يتدخل لإعادة ضبط الأمور، وإلا فإن العودة إلى مجلس الوزراء ستكون صعبة جداً. كنا نتوقع أن يتساهلوا مع ميقاتي في ملف الداتا بعدما حصلوا على ما يريدونه في جلسة (أول من) أمس، لكنهم اندفعوا نحو الهجوم أكثر».

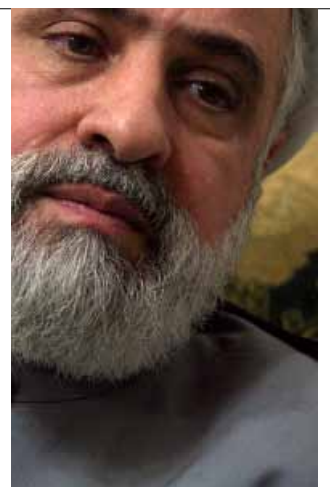
بدوره، قال وزير من قوى الثامن من آذار إن الوزراء العونيين أرادوا توجيه رسالة إلى رئيس الجمهورية في ملف التعيينات، فتلقفها رئيس الحكومة ليحاول القول إن العونيين يعرقلون التعيينات، فدخل رئيس الجمهورية على الخط ليردّ على كلام عون بحقه. «إنها حفلة مزايمة، وخلاصتها أن مجلس الوزراء معطل».

وطلبنا من الرئيس حاتم ماضي إيجاد صيغة لموضوع التكرار تمكّنا من ولوج هذا الباب، ومن الموافقة على الاقتراح حتى نرفعه إلى الهيئة العامة». وفي موضوع السجون أيضاً، وجّه النائب إليي كيروز سؤالاً إلى الحكومة بشأن «شغل الجيش اللبناني قسماً من سجن رومية المركزي» في حين أن هذا القسم شيد وأعدّ أصلاً وفقاً لمواصفات هندسية ومعمارية ليكون سجناً مركزياً. وسأل كيروز عن إمكان إعادة القسم المشغول من الجيش إلى إدارة سجن رومية المركزي تفادياً لاستمرار أزمة الاكتظاظ ومنعاً لانفجار السجن».

مجلس الوزراء إلى الانعقاد قبل بث هذه التعيينات. أنا لا أهدد بالاستقالة، لكني لن أدعو إلى عقد جلسة».

سريعاً، ساد الهرج والمرج داخل الجلسة، إذ أراد ميقاتي الخروج للإدلاء بتصريح إعلامي، بتدخل الوزراء على حسن خليل ومحمد فنيش و فيصل كرامي ومروان خير الدين لثنيه عن ذلك، على قاعدة أن نقل الملف إلى الإعلام بهذه الطريقة سيعقد المشكلة. وهنا تدخل أيضاً رئيس الجمهورية لثني ميقاتي عن التصريح، فيما كان بعض الوزراء العونيين يقولون لبعض زملائهم: دعوه يفعل ذلك. لكن

**قرطباوي زود  
ميقاتي باسماء القضاة  
الذين اقترح تعيينهم  
في الهيئة العليا للتاديب**



وحقوق الإنسان وترقي الشعوب». وحذر المطارنة من «خطر المراوحة التي تشل الحكم والنتاجة من لجوء المسؤولين إلى شد الحبال حتى باتت الدولة أشبه بعجلة تشدها قوتان متعاكستان».